لسان العرب

(تتمة ما سبق)

وفي مادة (ع ض ض - ص ٥١ س ٢١) «عضَّ الرجل بصاحبهِ يعضهُ عضاً لزمهُ» هكذا بتعدية الماضي بالحرف والمضارع بنفسهِ والفعل يستعمل بالوجهين لكن لا بد من مطابقة المضارع للماضي في كلٍ من الاستعمالين ولعل اصل العبارة «عضَّ الرجل بصاحبهِ وعضهُ عضاً الخ»

وفي مادة (خ ل ع - ص ٤٣٠ س ١٧ - ١٨) «وكان رجلٌ منهم خليعٌ اي مستهتِر بالشرب». ضُبط «مستهتِر» بكسر ما قبل آخرهِ وصوابهُ بالفتح لانهُ يقال استُهتِر الرجل بكذا على ما لم يسمَّ فاعلهُ اذا أُولع بهِ فهو مستهتَر بصيغة اسم المفعول

وفي مادة (ق ر ع - ص ١٤٠ س ١٣) «وقرَعهُ بالحق استبدلهُ» ونقل هذا في تاج العروس بصورتهِ قال وفي الاساس رماهُ . قلنا ما ذُكر في الاساس هو المقصود من العبارة لكن الذي نظنهُ ان اصل اللفظة هنا «استقبلهُ» وهو الاشبه بصورة الرسم

وفي مادة (ل م ع - ص ٢٠١ س ٣ - ٤) «شالت الناقة بذنبها وشمذت واكارت وعسَرت». وبالهامش «قولهُ واكارت كذا بالاصل بدون نقط للحرف الذي بعد الكاف وفي شرح القاموس الكبارت بالباء وحرّر» اه . قلنا الذي في النسخة المطبوعة من تاج العروس «اكبارت» من دون لام وكلتا اللفظتين لا معنى لها ولكن صحة الكلمة «اكتارت» بالتاء الفوقية المثناة افتعل من تركيب ك و ر . قال المصنف في هذه المادة

(ص ٤٧٣ س ٢١) «واكتار الفرس رفع ذَنَبهُ في عدوهِ واكتارت الناقة شالت بذنبها عند اللِقاح» اه . قلنا وضُبط «اللقاح» في هذا الموضع بكسر اللام وصوابهُ بفتحها

وبقي قولهُ «وعَسَرت» ولا معنى لهُ في هذا المقام ايضاً وصوابهُ «عشّرت» بالشين المعجمة مشددةً اي صارت عُشَرآء وهي في الاصل التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر . وفي اللسان «قال ابن الاثير قد اتُّسع في هذا حتى قيل لكل حامل عُشَرآء» . وقال بعد ذلك «وعشَّرت الناقة تعشيرًا وأعشرت صارت عُشَرآء» اه

وفي مادة (ط ر ف - ص ١١٩ س ٤) «ليستطرف آخر غير صاحبهِ ويُطرَف غير ما في يدهِ» . ضُبط «يُطرَف» هكذا بصيغة المجهول من اطرفهُ وليس بالوجه وصوابهُ «يَطَّرِف» بتشديد الطآء على يفتعل اي يستفيد مثل يستطرف يقال استطرف الشيءَ وتطرّفهُ واطَّرفهُ بمعنى

وفي مادة (غ و ل - ص ٢٠ س ٢٢) «واتى غَوْلاً غائلة» وضُبط «غولاً» بفتح الغين وصوابهُ بضمها

وفي مادة (ج ث م - ص ٣٥٠ س ٤) «الجائمة واللَبِد الذي لا يبرح بيتهُ» والصواب «الجثّامة» على مثال علّامة كما يُعلم مما بعد

وفي مادة (ع ن ن - ص ١٦٨ س ٢٤) «في كلأ وخَصْب» وضُبط «خصب» بفتح الخآء وصوابهُ بكسرها

وفي مادة (و ث ن - في اول المادة) «وليس بثَبَت» وضُبط «ثبت» بفتحتين وهو اسمٌ بمعنى الثبات وهو غير المقصود وصوابهُ «ثَبْت» بفتح

فسكون بمعنى ثابت

وفي مادة (ف ل و ــ ص ٢١ س ١) « فلوت المهر اذا نتَّجتـهُ » وضُبط « نتّجتهُ » بالتشديد وصوابهُ بالتخفيف وقد مرّ مثلهُ قريباً

وفي هذه الصفحـة (س ٢٣) « وفرسٌ مُفليـة ومُفلٍ ذات فَلْو » وضُبط « فلو » بفتح اولهِ . ومثلهُ في صفحة ٢٢ (س ٢٢) « وفَلَت الدابّة فَلْوها » بالفتح ايضاً والصواب الكسر فيهما

وفي صفحـة ٢٢ ايضاً (س ٢٤) « اي قصبة وشُقَّة قاطعة » وضُبط « شقة » بضم الشين وصوابهُ بكسرها

وفي الصفحة التالية (س ١٠ ــ ١١) « وجمع الفلا فُليٌّ على فُعول مثل عَصًى وعصيّ » ورُسم « عصى » هكذا باليـآء وصوابهُ بالالف لانهُ من الواويّ

وفي ترجمة (ذ ا ــ ص ٣٣٦ س ١٨) أُنشد قول الراجز

لَتقعُدِنَّ مقعد القصيِّ   منيَ ذا القاذورة المقليِّ

وصوابهُ « ذي القاذورة » لانهُ نعت للقصيّ

وفيها (ص٣٣٧ س ١٦ وما يليهِ) « ويقال ذِهِي اليآء لبيان الهآء شبهها بهآء الاضمار في بِهِي وهذي وهذِهي وهذِهْ الهـآء في الوصل والوقف سا كنة اذا لم يلقها سا كن وهذِ كلها في معنى ذي عن ابن الاعرابي وانشد

قلتُ لهـا يا هذِ هذا اثم   هل لكِ في قاضٍ اليهِ نحتكم »

وبالهامش « قولهُ قلت لها الخ هو شاهد على هذِ باختلاس حركة الذال ولكن الشطر الاول غير متّزن لخرمهِ » اهـ . قلنا هذا نهاية الخبط وشرّ

ما يستعاذ بهِ من عبث اقلام النساخ وانما نشأ هذا كلهُ من تحريف كلمة «هذه» من قولهِ «وهذه كلها في معنى ذي» حيث تُركت الهآء الثانية من «هذه» فأوهم ذلك انهُ يقال فيها «هذِ» بحذف اليآء وابقآء حركة الذال مختلسة كما صرح بهِ المصحح في الهامش وعلى هذا بُنيت رواية البيت كما ترى . لكن الذي يمنع هذا الوهم قولهُ «وهذِ كلها» فان لفظ «كلها» يدل على ان المراد غير ما ذكر وان المنقول عنهُ وهو ابن الاعرابي انما اراد الاشارة الى الالفاظ السابقة وهي «ذِهي وهذي وهذِهي الخ» فذكر ان «هذه كلها» بمعنى «ذي» . والبيت الذي انشدهُ شاهدٌ على «هذِهي» باشباع كسرة الهآء حتى يتولد منها يآء وصحة الشطر الاول منهُ هكذا «قلتُ لها يا هذِهي هذا إِثِمْ» بكسر الثآء من إثم اتباعاً للهمزة ضرورةً او على احد مذاهبهم في الوقف . واما «هذِ» بذال مكسورة مختلسة الحركة فليست مما سُمع في كلامهم والله اعلم . انتهى

الروائح والاجسام

الروائح التي تنبعث عن الاجسام ليست الا ذَرّاتٍ من تلك الاجسام تتطاير عنها وتنتشر في الهوآء فاذا انتهت الى حاسة الشمّ تهيجت بها فشعرت بالكيفية التي يتميز بها الجسم الذي تطايرت عنهُ

اما خصائص المشمومات وطبائع الروائح وكيفية تأثيرها في عصب الشم بين ان يكون ناشئاً عن ارتجاج العصب عند وقوع تلك الذرّات عليهِ او يكون شعوراً بشيءٍ في نفس الذرّات فمما لم يهتدوا الى معرفتهِ . سوى

انهم بالاستقرآء وجدوا ان اكثر الاجسام آليَّةً كانت او غير آلية لا تخلو من رائحة وذوات الرائحة في المركبة من غير الآلية اكثر منها في البسيطة. لكن من الغريب ان اكثر ذوات الرائحة من الاجسام المركبة مؤلفٌ من اجسام لا رائحة لها وذلك كالحامض الكبريتوس (بخار الكبريت) فانهُ ذو رائحة قوية حادّة وهو مركب من الاكسيجين والكبريت وكلاهما لا رائحة لهُ . وبعكس ذلك الاجسام الشديدة الرائحة اذا تركب بعضها مع بعض كملح النشادر مثلاً فانهُ لا رائحة لهُ مع انهُ مركبٌ من الحامض الهدروكلوريك وغاز الامونياك وكلاهما من ذوات الروائح الشديدة

ثم ان تبديل المقدار النسبي بين عناصر الجسم يغير من خاصيتهِ واذا كان من ذوات الروائح فقد يفقد رائحتهُ بتاتاً فاذا حوّل الحامض الكبريتوس مثلاً الى حامض كبريتيك (والاول مركب من ١ من الكبريت و ٢ من الاكسيجين والثاني من ١ من الكبريت و ٣ من الاكسيجين) اصبح لا رائحة لهُ

اما النبات فاكثر الظن ان جميعهُ ذو رائحة بدليل ان الحيوان يميز بين انواعٍ منهُ لا نجد لها رائحةً البتة . لكن على الجملة تقوى رائحة النبات او تضعف بالقياس الى قوة التطاير في بعض العناصر الداخلة في تركيبهِ ولا سيما الزيوت الطيارة التي تُعَدّ من افعل العوامل في انتشار الروائح . وهذه الزيوت توجد في جميع الاجزآء التي يتركب منها النبات مفرزة من غُدَدٍ خاصة . وهي تختلف باختلاف الاجزآء التي تنبعث عنها بين ان تكون من الجذور او من الخشب او الزهر او غير ذلك . وما كان منها في الزهر

لا يتعدى حياة الزهرة الا في النادر بخلاف ما كان في الجذور او الخشب او غيرهما والظاهر ان انبعاث الروائح العطرية من الزهر ناشئٌ عن وظيفة لها تعلقٌ بالازدواج على حد ما يُرى مثل ذلك في كثيرٍ من انواع الحيوان

وقد بحث بعضهم عن وجود علاقة بين رائحة الزهر ولونهِ وممن اشتغل باستقرآء ذلك اثنان من علمآء الالمان فظهر لهما ان اكثر الزهر فوحاناً واشدهُ تأرّجاً الزهور البيضآء كزهر النارنج والياسمين واكثر اصناف السوسن (الزنبق) ويليها في ذلك الزهور الحمرآء ثم الصفرآء ثم الزرقآء ثم البنفسجية ثم الخضرآء ثم النارنجية ثم الكلفآء . على ان هذا غالبٌ لا مطّرد لامكان الخلاف فيهِ كما يشاهد في بعض انواع الزهر

واما الحيوان فلكل سائلٍ فيهِ رائحةٌ خاصة بهِ مفرَزاً كان او مُبرَزاً فان الدم مثلاً لهُ رائحة يتميز بها عن بقية سوائل الجسم ورائحتهُ تختلف في اكثر الحيوانات وهو في الذكر اقوى رائحةً منهُ في الانثى . واما اللبن فلا رائحة لهُ عادةً لكنهُ يكتسب رائحة بعد تناول المواد ذات الروائح وهذا اكثر ما يكون في آكلات العشب . والمبرَزات منتنة على العموم ولكنها تكون اشدّ نتناً كلما ازدادت المواد الازوتية في طعام الحيوان . والبول منها على الغالب نشادريٌّ في الانسان وفي آكلات اللحوم ولكنهُ في آكلات النبات لا رائحة لهُ الا ما لا يكاد يُشعر بهِ . على ان البول عرضةٌ للتكيُّف بالمواد الداخلة على الجسم فان خلاصة التربنتينا مثلاً تكسبهُ رائحة اشبه برائحة البنفسج والهليون يكسبهُ رائحةً شديدة النتن وداء البول السكري باخلائهِ البول من الموادّ النشادرية يُفقدهُ كل رائحةٍ

كريهة . واما العَرَق والنَفَس فيختلف امرهما في الناس فهما في الأكثر لا رائحة لهما ولكنهما في البعض لا يُطاقان نتانةً وهذا لا تكاد تجدهُ في الحيوان ما خلا بعض الداجن منهُ كالكلب مثلاً

اما تقسيم الروائح وردّها الى اصولٍ ونِسَبٍ معلومة كما في الالوان مثلاً فما لم يجدوا اليهِ سبيلاً لكن غاية ما هناك ان يصفوها بالطيبة او المنتنة او يضيفوها الى محلها كرائحة الورد ورائحة التفاح ونحو ذلك . على ان منهم من حاول هذا التقسيم فيها اما باعتبار منزلتها في الطيب والنتن كما فعل لِنّاي فقسمها الى سبع طوائف وهي الطيّبة والعَبِقة والفاخرة والصُنانية والمنتنة والذامية والمُغثية . واما باعتبار ما يغلب فيها من روائح المواد الداخلة في تركيبها كما فعل لُورِيے فقسمها الى خمس طوائف وهي الكافورية والمخدِّرة والايثيرية وذات الحوامض الطيارة والقلوية . ومنهم من اعتبر فيها غير ذلك فقسمها الى غير ما ذُكر ولكن كل ذلك لم يعوّل عليهِ جمهور الباحثين لانهُ غير جامع ولا مانع

وقد تقدم ان الروائح ليست الا ذرّاتٍ صغيرة تتطاير عن الاجسام وهي من هذا الوجه تتفاوت كثيراً فان الكافور والمسك يُعدّان من اقوى الاجسام رائحةً لكنهما يختلفان اختلافاً عظيماً في حجم الذرّات ودقتها فان قطعةً من الكافور ذات خمسة سنتغرامات مثلاً لا يأتي عليها الا وقت قصير حتى تتبخر بجملتها وتفنى . وتبخُّرها شديد السرعة حتى انها اذا وُضعت على وجه المآء دارت على نفسها بقوة تلك الحركة على حدّ ما يكون من حبّة البَرَد اذا وُضعت على الكفّ بعد ان ينحلّ شيءٌ من مآئها . وبخلاف ذلك

المسك فان قطعةً منهُ اصغر من ذلك كثيراً يمكن ان تبقى سنواتٍ لا يُشعَر فيها بنقص في الظاهر مع اتصال انبعاث رائحتها فيما حولها

بقي الكلام على تأثير الروائح في الجسم فهي سوآء كانت صادرةً عن الاجسام غير العضوية او عن العضوية في حال الانحلال تؤثر اثراً واحداً على جميع الحيوان الا في النادر فان ابخرة الكلور والامونياك والحامض الكبريتوس هي ابداً مهيجة تهييجاً شديداً حتى تحدث الاختناق وغاز الهدروجين المكبرت والحامض الهدروسيانيك سامَّان مؤذيان للصحة ٠ وبخلاف ذلك الروائح المنبعثة عن الاجسام العضوية فان تأثيرها يختلف تبعاً للاشخاص فمن الناس من تؤثر فيهِ تأثيراً شديداً لتناولها الوظائف العصبية كرائحة بعض الازهار الشديدة التأرُّج ولا سيما السوسنية منها وكرائحة المسك ونحوهِ من المفرزات الحيوانية ومنهم من لا تُحدِث فيهِ هذه الروائح واشباهها اثراً على الاطلاق

واما الحيوان فمع ان حاسّة الشم فيهِ على الغالب اقوى مما في الانسان فان هذا الشعور فيهِ لا يتعدى بعض الاحوال فالكلب مثلاً يعرف رائحة ربهِ ورائحة الصيد ولكنهُ لا يشعر برائحة الورد ٠ وقد تنبه الباحثون لهذا الامر في الحيوان واستقروا ما يبدو منهُ من هذا القبيل في كثيرٍ من الاحوال فظهر لهم ان هذه الحاسة فيهِ بالاجمال من ذوات الثديّ الى ادنى الرتب الحيوانية لا تتجاوز ادراك روائح الاشيآء المختصة بالمحافظة على حياة الفرد وبقآء النوع ٠ انتهى تحصيلاً عن بعض المجلات الفرنسوية

ادب الدارس

(بعد المدارس)

هو خطابٌ لصاحب هذه المجلة ألقاهُ في اثنآء الاحتفال بتوزيع الجوائز على طلبة المدرسة البطريركية في بيروت في ٢٠ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٠ ننشرهُ في هذا الموضع اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الادبآء ۰ وهو هذا

ايها السادة

قد دُعيت للكلام بين ايديكم بما يتنزل منزلة خطابٍ اصرف بهِ مسامعكم الى غير ما يُتلَى عليكم من هذه الاسمآء المتتابعة والاعلام المتناسقة استدعآءً لجمام الخواطر ودفعاً لما ينشأ عن مثل ذلك من ثقل الملل وان كان ولا ريب مماً ترتاح اليهِ نفس كل وطنيّ يرى سباق فتياننا الاذكيآء ومباراتهم الى نيل قصب السبق في مضمار الفلاح ۰ غير ان ضيق الوقت واشتراط الايجاز في القول يمنعانني من تخيُّر غرَضٍ ذي بال أُفيض فيهِ في هذا الموقف الحافل ولا سيما ونحن في معمعان القصل وتوقُّد وطيسهِ مع اعترافي بقلَّة البضاعة وقصر الباع ۰ ولذلك رأيت ان اوجه كلامي الى الحلقات الأُوَل من طلَبة هذه المدرسة الماثلين في هذا المقام مقام الوداع ليكون بمنزلة درس اخير القيهِ عليهم في هذه السنة تثبت في محفوظهم آثارهُ ولا يذهب من نفوسهم تذكارهُ والله المسؤُول ان يتولاَّني واياهم بهدايتهِ وتسديدهِ

فانكم ايها التلامذة النجبآء بل الاخوان الاحبآء قد قضيتم ههنا الشهور بل الاعوام حتى بلغتم الحدّ الذي فيهِ عرفتم من انفسكم معنى

تحمُّلكم مشاقّ الدرس والسهر وحمل طبائعكم على الجهد والنَّصَب وفطم انفسكم عن ملاهي الحداثة واعطآء قياد اهوآئكم لمن يسوسها دونكم ومهاجرة المنازل التي أَلفتموها والاهل الذين نشأتم بينهم والاخوان الذين جمعتكم واياهم دار المولد وأَلَّفت بينكم وبينهم عشرة الصبآء . وما فيكم من يجهل ما في انشآء هذه المدرسة من مهمات التكاليف بين تشييد بنآئها وإعداد مُحِلاَّتها وتوفير الرجال فيها على سياستكم وتهذيبكم والقيام عليكم في دروسكم وغذآئكم ومنامكم وسائر احوالكم وما يتجشم اولياؤكم من النفقات الطائلة والاهتمامات المتواصلة وان ذلك باجمعهِ وقفٌ على مصلحتكم وسعيٌ في شؤون آتيكم وتبليغكم الطور الذي تكونون فيهِ اهلاً لان تقبضوا على ازمَّة عصركم وتحلُّوا المحلات الاولى من مجتمعكم وتكون لكم القدم السابقة في نشر المدنية وتعزيز شأن الوطنية والسعي فيما يعود نفعهُ عليكم وعلى البلاد

فاذا خرجتم من هذه المدرسة وفي ايديكم الاجازات المؤذنة باستكمالكم دروسها فاول ما اوصيكم بهِ المثابرة على درس ما تلقيتموهُ فيها وتعهُّد الذاكرة بهِ مخافة ان يسرع اليهِ النسيان فان آفة العلم كما قيل اهمالهُ . فاجعلوهُ حديث النفس في خلواتكم وتذاكروهُ في مجالسكم وروضوا باسرارهِ خواطركم حتى تستحكم ملكتهُ في اذهانكم وترسخ مسائلهُ في مخيلاتكم وتمثل صورهُ في بداهتكم ولا تقنعوا منهُ بالقدر الذي بلغتموهُ في حلقات الدرس ولكن استزيدوا ما وصلت اليهِ ايديكم منهُ وخذوا انفسكم بادمان البحث والاستقرآء لادراك كُنه المسائل والاحاطة باطرافها واستظهار نادّها وغريبها فان المدرسة لا تضمن لاحد ممن تلقَّى علومها ان يخرج منها عالماً ولا ذلك

في غاية شيء من المدارس ولا في طوقهِ وانما العالم يصير عالماً في بيتهِ وفي مقام شغلهِ وهو استاذ نفسهِ على الحقيقة يبلّغها الكمال بادمان الجهد وتكرار المطالعة والاشتغال . ولست انكر على آحادٍ منكم بلغوا في التحصيل مبلغاً عزيزاً واحصوا من الاصول والقياس حظّاً جليلاً غير اني لا أُطرئ احداً منهم بانهُ قد استولى على شيء من غايات العلم ولا تقرّب من حدود الكمال فيهِ ولكني أُبشر الذين بلغوا هذه المنزلة وانتهوا الى آخر درجة من سلم الدروس بانهم قد صاروا اهلاً لان يضعوا قدمهم في اول درجة من سلم العلم ورجائي بما عهدت من ذكاء افئدتهم وثبات عزائمهم انهم سيحصَون عن قليل في سواد اهل العلم القائمين برفع منارهِ والتطريس على آثارهِ اذا لم تهبّ عليهم ريح الكسل التي تطفئ نور الذكاء وتنسف حصون الثبات ألا وهو الآفة التي أُحذركم شرَّها وأسأل لكم العافية منها واذا جاوزتموها لم اخشَ على عزائمكم ان تُكسَع بوهن ولا على جهدكم ان يُنال بضياع

ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينفع بعلمهِ الاّ اذا كان راسخ القدم فيهِ مستبطناً لاسرارهِ ودخائلهِ محيطاً بما تشعب من فروعهِ ومسائله وذلك مما لا يُنال الاّ بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يُتوخى حفظهُ واخلاء الذرع لاحصائهِ . ولذلك فاني انصح للمستزيد منكم ان لا يتعرض لما لا يعنيهِ من العلم ولا يتجاوز ما درسهُ الى غيرهِ قبل ان يستوفي حظهُ منهُ ويرسخ في ملكتهِ. وان وجد من نفسهِ قدرةً على التوسع وميلاً الى المزيد فليكن فيما يجانس مأخذهُ وينضمّ في سلكهِ بحيث لا يكون انتقال الذهن بعيداً ولا تتعارض فيهِ صُوَر العلوم بما يُضعِف ملكتها فيهِ وتضيق الحافظة

عن احصآئهِ . على ان المرء مفطورٌ على التطالّ مولعٌ بالاطلاع على ما لم يعلم ولكل علمٍ فائدة تتوفر بها مادة العقل ويتسع مذهب الفكر ويبعد مرمى البصيرة فلا يمتنع على من شآء منكم ان يزين علمهُ بما يضمّ اليهِ من سائر العلوم ويشحذ ذهنهُ بما يصل اليهِ اطّلاعهُ من المدارك ولكن ليكن ذلك بحيث لا يصرفهُ عما هو فنُّهُ الجدير بالتوسع فيهِ وليقتصر فيهِ على حد المشاركة دون التبحر وقصد الاحاطة لئلا يقصر باعهُ عن تناول كل واحد من العلوم التي يتوخاها فيخرج متخلفاً في الجميع . وان سمعتم ان فلاناً المنعوت بعلامة العلمآء وفيلسوف العصر قد احاط بمتفرق العلوم واصبح في كلٍّ منها اماماً فانما هو تزيين المحال وتلقين الغرور وهؤلآء مشاهير علمآء المتقدمين والمتأخرين لا تكادون تجدون واحداً منهم ممن يشار اليهِ بالسبق والتبريز الاَّ وهو قد اشتهر بجنسٍ من العلم ولم يكن لهُ في سائر العلوم الأُخر الا مشاركات

واذا ضمكم مجلس ادب وتشمرتم للبحث فيهِ فلا تتفرغوا للنقد والتخطئة والتنبيه على هفوات اهل العلم ارادة ان تكاشفوا الناس بمبلغ علمكم وتوهموهم انكم ارفع ممن تخطئونهُ مقاماً واوسع علماً فان ذلك يبعث النفار منكم في النفوس والاشمئزاز في الصدور وتُلحَظون بعين الكراهة من رصفائكم وانماطكم وتنصبون انفسكم اغراضاً للقارضين واهدافاً للطاعنين وتعرون الالسنة بالغضّ من مزيتكم واحسانكم فيكون ذلك سبباً في حط مقامكم ونصب العداوة لكم والوقوف لكم بالمرصاد فيما تتوخونهُ من المقاصد وتتجهون اليهِ من الرغائب . واحذّركم كل التحذير من الطعن على

من اشتهر بفضلٍ او مزيَّة واعترف لهُ سواد الناس ولا سيما اهل العلم بالتقدم فانكم ان فعلتم جعلتم انفسكم غرضاً لكل من تشيَّع لهُ فاكثرتم اعدآءكم ومناصبيكم في حين انتم على حدثان امركم احوج الناس الى الاستكثار من الصحابة والاصدقآء والمشايعين في احوال الدنيا والدافعين الى التقدم في مراتب الشهرة والفضل . ولا تحسبنَّ الناس سوآء في معرفة الصواب فان ذوي العلم فيهم نفرٌ معدود والمنصفون من اولئك قليل وفيهم من لا يهمهُ ان يعرف موضع الحق فلا يتفرَّغ للبحث في دعواكم وانما يحكم بمجرَّد ما تقرر في علمهِ او سبق الى وهمهِ من افضلية الاشهر فلا تحصلون منها على طائل . واذا كان ذلك حال العلمآء وهو الواقع في كثيرٍ من الامر فما الظن بغيرهم ممن لا اداة لهُ للحكم ولا موقع عندهُ للفصل

(ستأتي البقية)

ديوان ابن مامية الرومي

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ﴾

(ملحق ثانٍ)

في تواريخهِ الشعرية

اشرنا سابقاً الى تواريخ هـذا الشاعر عند كلامنا على ديوانهِ ووعدنا ان نرصد للبحث فيها فصلاً خاصاً ووفآء بذلك الوعد نقول

لابن مامية في الاوراق الباقية من ديوانهِ بيدنا تواريخ شعريَّة كثيرة بديعة السبك تدل على تفننهِ في الشعر وسلامة ذوقهِ في النظم وتبريزهِ في

فن التاريخ كما اشرنا الى ذلك في ترجمتـهِ ووصف شعرهِ . وقد كان بودنا ان نثبت كل ما بيـدنا من تواريخهِ لولا ضيق المقام فاقتصرنا على ذكر بعضها عدا ما ذكرناهُ استطراداً في مقالتنا الماضية . وقد قاسينا نصباً شديداً في معرفة السبب الداعي الى نظم كل تأريخ منها وتحقيق اسماء الاشخاص المقولة فيهم واخبارهم لان اكثرها ورد في الديوان غفـلاً من العنوان فتوصلت الى معرفة ذلك اولاً من القرينـة وسياق النظم ثم من معارضة اسماء الاعلام والحوادث الواردة فيها باشباهها مما ورد في الكتب التاريخية عن ذلك القرن . وقـد تمكنت بذلك من ان اورد تراجم بعض الاعلام المذكورين في النظم . ولعل ما قاسيتهُ في سبيل ذلك من مشقة البحث والتنقيب يشفع لدى القرآء الافاضل فيما لعلي لم أُصب فيهِ المرمى

ولا بد لي قبل ايراد هذه التواريخ من وصفها وصفاً اجمالياً فان من اعمل فيها النظر بدقة وحسن رويَّة يراها سلسة خالية من كل لغو وتعقيد وتكلف ومحتوية اما على آيةٍ قرآنيـة واما على نكتة مستملحة تطابق المعنى الذي نظمت لاجلهِ وهي مع كل ذلك في عجز البيت او في بعضهِ . وهذه لعمر الحق هي شروط الحسن في التاريخ التي قلَّما اجتمعت لشاعر

هذا فضـلاً عن ان لنا من تواريخهِ فائدة مهمَّة فيما يتعلَّق بحساب كلمات التاريخ بالنظر الى قدم عهدهِ وسبقهِ كل من تكلم عن حساب التاريخ الشعري من المؤلفين. فانهُ معلوم ان علماء الادب في هذه المسئلة على رأيـين . فاصحاب الرأي الاول يحسبون الفاظ التأريخ بحسب رسمها وكتابتها أي انهم يعدون الالف المكتوبة بصورة الياء عشرةً تبعاً لرسمها

والهمزة بحسب كرسيها والوصلة أَلِفاً وهلم جرًّا وهذا هو الرأي المتَّفق عليهِ من جمهور الشعرآء والمؤلفين[1] . وأما الرأي الثاني فهو رأي العلامة الشهير الشيخ عبد الغني النابلسي الذي هو اول من نظم التاريخ الشعري في سلك الفنون البديعيَّة . وهو يرتإِي ان الفاظ التأريخ يجب ان تحسب بحسب لفظها لا بحسب كتابتها وإليك قولهُ في هذا الشأن نقلاً عن شرح بديعيَّتهِ (ص ٤٩٥)

« وهل تُحسب الحروف المرسومة او الحروف المنطوق بها لم أَرَ من تكلَّم على ذلك من اصلهِ وينبغي حساب الحروف المنطوق بها لا المرسومة كلفظ فتى ويخشى مما يكتب بالياآء ويقرأ بالالف لان كلمات التاريخ انما جُعلت لتُقرأ وتحسب باعتبار ان حروف هذا اللفظ دالَّة بالحساب على السنة المقصودة ولا دخل للكتابة في الحرف المحسوب والاَّ لتوقَّف حساب التأريخ على كتابتهِ كما لا يبعد على صاحب الذوق السليم مع اني استعملت كلا الامرين في بعض تواريخ اقتضت ذلك » . انتهى

بقي ان نعرف اي الرأيين المذكورين اقدم في الاستعمال واحرى بالاتباع وهذا ما قصدنا البحث فيهِ هنا . ويمكننا معرفة ذلك جليًّا من تواريخ ابن مامية التي نحن بصددها فان ناظمها كان في القرن العاشر

(١) راجع كتاب اللامعة في شرح الجامعة للعلامة المرحوم الشيخ حبيب اليازجي ص ١٢٧ ودائرة المعارف للعلامة البستاني رحمهُ الله المجلد السادس في كلمة « تأريخ » وكلمة « جمل » ومقالة الاستاذ الفاضل عيسى افندي المعلوف في الضيآء (٥ : ٤٣٦) وغير ذلك

للهجرة [١] أي قبل الشيخ عبد الغني النابلسي بمئة سنة ونيّف [٢] . ومن مقابلة تواريخهِ بحساب الجمّل نرى انهُ أي ابن مامية يحسب الكلمات بحسب رسمها فقط جرياً على الطريقة المستعملة في زمانهِ . وبناءً عليهِ يكون الرأي الاول أولى بالاتباع لانهُ اقدم في الاستعمال فضلاً عن اجماع الادبآء عليهِ قديماً وحديثاً . ويكون الرأي الثاني رأياً شخصياً لا يجري عليهِ الا من ساقتهُ اليهِ الضرورة

ولنذكر الآن بعض تواريخ ابن مامية مرتبة بحسب سنيها

قال مهنئاً بمولود ومؤرخاً سنة ٩٥١

لقد وافاك مولودٌ جليلٌ يفوق الخلق بالخُلق العظيمِ
وقال الدهر لما أرّخوهُ لك البشرى بمولودٍ كريمِ

وقال مؤرخاً مولد محمد الفرفور الدمشقي ومهنئاً والدهُ سنة ٩٥٣

هنئت يا مولاي بالولد الذي هو في عناية حافظٍ وقديرِ
قالت دمشق الشام في تأريخهِ يا مرحباً بمحمّد الفرفورِ

وقال مؤرخاً قدوم المولى حامد [٣] الى مدينة دمشق لتولي القضآء بها سنة ٩٦٠

(١) راجع مجلة الضيآء (٦ : ٢٧٠ و ٣٣٨)

(٢) وُلد الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة وتوفي بها سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م) وترجمتهُ وتآليفهُ اشهر من ان تذكر

(٣) هو المولى حامد احد اعيان علمآء الروم وفضلائها . وُلد في مدينة قونية وكان والدهُ من ارباب الزوايا فلما نشأ وشبَّ سلك مسلك الطلب ودخل

قد قدمتم لدمشق بسرورٍ متزايدْ
ولهذا أرّختهُ جآءني بالخير حامدْ

وقال مؤرخاً مولوداً اسمهُ محمّد سنة ٩٧٠

طالع الاقبال ابدى ولداً بالذكر يُحمَدْ
قلت لما ارخوهُ هلّ بالخير محمّدْ

وقال مؤرخاً وفاة السلطان سليمان سنة ٩٧٤ (من قصيدة)

في صفر الخير نوى رحلةً لكنهُ لجنّة الخلد آبْ
يا رب فارحمهُ بتأريخهِ وجازهِ أجراً بدار الثوابْ

وقال يهجو بخيلاً حجّ سنة ٩٧٧

حجّ للبيت خسيسٌ كابح اللحية كالِحْ
قلتُ لما أرّخوهُ ليس هذا الحجّ صالِحْ

وقال مؤرخاً يوم نيروز سنة ٩٧٨

جآء نيروز الهنا وبدا سعد الأمَلْ
واتى تأريخهُ حلّت الشمس الحَمَلْ

وقال مؤرخاً وفاة علي چلبي الدفتردار سنة ٩٨١

مدخل العلم والادب وقرأ على علمآء زمانهِ وتقلد وظيفة التعليم والافتآء في عدة مدارس ثم نقل الى مدينة دمشق الشام وتولى بها القضآء • وبعد سنة عين لقضآء مصر ثم تقلد وظائف اخرى بضع سنوات الى ان أُلقيت اليهِ رئاسة الفتاوى في القسطنطينية ودام كذلك الى ان توفي سنة ٩٨٥ ﻫ (١٥٧٧ م) (راجع ترجمتهُ في كتاب العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم المطبوع بهامش الجزء الثاني من وفيات الاعيان (ص ٣٦٨ و ٣٦٩)

ان عليّ الشان في دنياهُ قد عاش رحيب الصدر بالبال الخلي
وبعد موتٍ ان تسل تأريخهُ أُحلّ في قصرٍ بفردوسٍ علي

وقال مؤرخاً رجوع درويش باشا[1] من سفر الروم سنة ٩٨٢ (من ابيات)

بقدومك الاقبال والبشرُ وببابك الآمال والجبرُ
وبسعدك الافلاك دائرةٌ ومعينك الاملاك والدهرُ
وبعدلك الاحكام سائدةٌ وإليك يُعزى النهي والامرُ
قد عدت بالاقبال مصطحباً فالحمد للمنان والشكرُ
وبك الهنا نادى مؤرخهُ أبداً قرين ركابك النصرُ

الى غير ذلك من التواريخ التي يضيق عن استيفآئها المقام وفي ما تقدم منها كفاية لذوي الافهام والسلام ختام

جواب اللائم

هو عنوان بندٍ بعث الينا بهِ حضرة صديقنا الفاضل الالمعي قسطاكي بك الحمصي في حلب تلقاهُ عن نسخةٍ بخط احد ادبآء الموصل وهو لابن خلفا البغدادي جرى فيهِ على طريقة ابن معتوق في بنودهِ التي اثبتنا احدها في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة (صفحة ٦٧) فرأينا ان نطرف بهِ قرآء الضيآء لندرة هذا النوع من مصوغات الكلام على ما اشرنا اليهِ هناك

(١) هو احد ولاة سوريا العظام تولى الاحكام سنة ٩٧٩ هـ وبقي ٣ سنوات و٧ اشهر . ومن آثارهِ في دمشق جامع معروف باسمهِ بناهُ سنة ٩٨٢ في حارة الدرويشية التي تنسب اليهِ ايضاً

اما ابن خلفا المذكور (او ابن خلفه) فهو على ما اتصل بحضرة صديقنا المشار اليهِ من ادباء القرن الثاني عشر للهجرة وكنا نودّ ان نبحث عن ترجمتهِ في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر المطبوع في مطبعة بولاق ونحن نتوقع بعد وجود الترجمة ان نجد فيها نسخةً لهذا البند لان روايتهُ لا تخلو من تحريفٍ ونقص كما نبه الى ذلك حضرة المرسل . ولكنا الفينا الكتاب بدون فهرست وهو سفرٌ ضخم يقع في اربعة مجلدات يقرب مجموعها من الف ومئتي صفحة بحيث وجدنا انهُ يلزمنا ان نتصفح رؤوس التراجم في الكتاب كلهِ لنظفر بضالتنا منهُ ان وُجدت وهو امرٌ لا يتسع لهُ وقتنا . ولذلك اضطررنا ان نطيب نفساً عن ذكر الترجمة وصححنا رواية البند باقرب ما ظهر للنظر الضعيف بعد حذف شيء من مواضع النقص ليتصل بعض الكلام ببعض وهو هذا

ايها اللائم في الحبّ دع اللوم عن الصبّ فلو كنت ترى الحواجب الزُجّ فُوَيق الاعين الدُعج او الخد الشقيقي او الريق الرحيقي او القد الرشيق الذي قد اشبه الغصن انعطافاً واعتدالاً ، فغدا يورق آس عذارٍ اخضر دبَّ عليهِ عقرب الصدغ والحوان ثغرٍ اشنب ، قد نُظّمت فيهِ لآلٍ في سلك دِمقَسٍ احمر جلّ عن الصِبغ .. ولو شاهدتَ يا سعد في لَبتهِ مرآة الاعاجيب عليها رُكّب حقّاً عاجٍ حُشيا من رائق الطيب ولو كنت ترى الساعد والمعصم والكفّ التي قد شابهت انملها اقلام ياقوت ولكَم اصبح ذو اللبّ من الحب بها حيران مبهوت او الكشح الذي اصبح مهضوماً نحيلا مذ حُمّل متناهُ من الردف حملاً ثقيلا وكعبين أدرَمَين صيغ فيهما من الفضة اقدام لما لُمتَ محباً في رُبى البيد من الوجد بها قد هام فهل تعرف ام لا أن للحب لذاذات وقد يُعذَر لا يُعذَل من

فيهِ غراماً وجوًى مات فذا مذهب ارباب الكمالات ودع عنك من اللوم زخارف المقالات فكم قد هذَّب الحب بليدا وغدا في مسلك الآداب رشيدا صهْ فما بالك اصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقاً لا ولا تُظهِر توقاً لا ولا شمتَ بلحظيك سنا البرق اللَمُوح مذ غدا من جانب الإكليل يلوح خليطٌ عنك قد بان وقد عرّس في سفح رُبى البان وهذي خمرة الريق فما قرقفُ إبريق لك العذر على انك لم تحظَ من الخِلّ بشمٍّ وعناق وبقربٍ والتصاق لو ترانا كلّ مَن يبدي لدى صاحبهِ العتب ويسدي فرط شوقٍ كامنٍ اضمرهُ القلب سُحَيرًا والتقى قمّصنا ثوب عفافٍ قطُّ ما دُنّس بالإثم سوى اللثم لأصبحت من الغيرة في حيرة وأعلنت بحب الشادن الاهيف سرًّا وجهارا

البابا انيقيطس
﴿ والاب لويس شيخو ﴾

قد سئم القرآء ولا ريب كما سئمنا من تكرار هذا العنوان ولكن حضرة الاب المحترم لم يسأم من المماحكة ولم يملّ من المكابرة مع ان الامر قد بلغ غايتهُ في البيان واصبح الجدال فيهِ كالجدال في الشمس . ولكن من جعل دأبهُ التمويه على عقول الاغرار لايهامهم ان الحق والصواب لا يكونان الا من جانبهِ لا يُستغرَب منهُ ان يتذرع بكل ذريعة لتأييد ترَّهاتهِ ويتلوّن كل لونٍ في الجدال الى ان يظن انهُ قد لبَّس الحق ثياب الباطل وخرج من مجالهِ فائزًا

وقد جآءنا ردٌّ من صاحب المقالات السابقة بالعنوان المذكور يفنّد فيهِ المطاعن الصبيانية التي ختم بها حضرة الاب ردوده ُ وهي دليلٌ على انها السلاح الوحيد الذي بقي في حوزتهِ بعد ان تكسرت اسلحة براهينهِ واحتجاجاتهِ . وقد كان من مضحكات دفاعهِ هذه المرة زعمهُ ان خصمهُ في هذه المناقشة « شُبيب » اي شابٌّ صغير لا يستحق ان يتنازل الى الرد عليهِ مع انهُ قضى هذه الايام كلها في مدافعة حججهِ حتى أُلجئ معهُ الى الخروج عن المناظرة بتاتاً والعدول الى مثل هذه السخافات . ثم انحى على صاحب الضيآء فنعتهُ بانهُ ماسوني - والحمد لله ثم لهُ اذ لم ينعتهُ بانهُ جزويتي ... - ثم وصف المجلة ومكاتبها بالجهل لان كلاً منهما لم يعلم « ان الكتبة لم يتفقوا على زمن رئاسة هذا البابا (اي البابا انيقيطس) وان لكل واحدٍ من العلمآء ان يختار التاريخ الذي يريدهُ الى ان تنجلي الحقيقة » (زه زِه)

قلنا واذا كان الامر على ما يقول فعلى مَ كان يماحك خصمهُ ويجادلهُ واستناداً على اي « حقيقة » كان يخطّئهُ اذا كان كلٌّ منهما ينقل عن احد التواريخ التي يزعم انها الى الآن لم تنجلِ الحقيقة فيها ولم يُعلم خطآؤها من صوابها

ونحن لا نحب الدخول في هذه المسألة ولا نعيد على المطالع الشواهد التي جآء بها المكاتب لاثبات رأيهِ بيد ان امر هذه المناقشة قد طال حتى جاوز حدوده ُ بفضل حضرة الاب ولذلك نعتذر الى حضرة مكاتبنا الاديب من اغفال ردّهِ لان الامر قد استوفى حقهُ من البينات وان كان يتوقع ان يسمع من خصمهِ كلمة التسليم لهُ والاقتناع ببراهينهِ فما ابعده مطلباً ولكن

حسبهُ ان كل من اطلع على كلام الفريقين قد عرف موضع الحق منهما سوآء اقتنع بهِ حضرة الاب ام لم يقتنع وليكن هذا ختام المقال في هذا المجال والسلام

اسئلة واجوبتها

اسيوط ـ نراكم ترسمون كلمة « الضيآء » واضعين مدة فوق الالف وكثيراً ما نرى الالفاظ التي تشابهها تُرسَم بهذا الشكل ايضاً في مجلتكم على اننا نرى ان الواجب رسم الجميع بدون مدة لان المدّ تؤديهِ الالف ورسمكم هذا يطابق رسم المصحف الشريف لا ما تقتضيهِ القواعد فما قولكم في ذلك

ا . ف

الجواب ـ من المعلوم ان الالف تُقصَر وتُمَدّ ولفظها يختلف بحسب ذلك فتكون تارةً بطولها الطبيعي وهو مقدار المدّ الذي تؤديهِ الالف كما اشرتم اليهِ وتارةً تُشبَع حتى تبلغ مثليْ طولها وهو اقل ما تبلغهُ في الاماكن التي يجب مدها فيها . وذلك يكون فيما اذا وقعت قبل همزة مثل سمآء او بعد همزة مثل آمن او وقع بعدها ساكن وصلاً كالضآلّين او وقفاً على خلاف كما في نحو تكذّبان . ومثلها في ذلك الواو واليآء الساكنتان بعد ضمة او كسرة وتمة الكلام على هذا البحث تجدونها في النوع الثاني والثلاثين من كتاب الاتقان للسيوطي . وقد كان يجب على هذا ان توضع علامة المدّ في كلٍّ من المواضع المذكورة وهو ما جرى عليهِ بعض الكتاب فرسمها على الواو واليآء في مثل وضوٓء ومسيٓء وموٓدّ ولكن اكثرهم اقتصر عليها

مع الالف لكثرة دورانها الكلام

اذا تقرر ذلك علمتم منهُ ان رسم المدة فوق الالف او غيرها انما هو لامرٍ يترتب عليهِ حكمٌ في اللفظ فهو مما تقتضيهِ القواعد لا مجرد اصطلاحٍ مخصوص بالمصحف بخلاف رسم القيامة مثلاً بلا الف ورسم نحو يتوفاكم ودحاها بالياء ونحو رحمة ونعمة في بعض المواضع بالتاء دون الهآء الى غير ذلك مما يخالف مقتضى اللفظ والاصطلاح جميعاً . على ان ما ذكرناهُ من التزام رسم المدة فوق الالف ليس مما انفردنا بهِ ولكنكم تجدونهُ في كثير من المخطوطات القديمة ولا سيما المتنوّق في كتابتها وعندنا منها نسخةٌ من ديوان ابن الفارض لم يُعلم تاريخ نسخها لكن دخلت في نوبة احد ملاَّكها سنة ٧٩٨ ومثلها نسخة من فقه اللغة ونسخة من مختصر الاغاني لابن منظور وكلها مرسومة على هذا المثال . وكذلك ترون رسم المدة في اكثر الكتب المطبوعة على الحجر كمجموع المتون المطبوع في مصر وكتاب الاذكيآء وغيرهِ وانما اهملوها في المطابع الرصاصية لصعوبة تركيبها مع الالف فاستغنوا عنها كما استغنوا عن سائر الشكلات اعتماداً على تصرُّف القارئ في اعطآء كل حرفٍ حقهُ

القاهرة ـ ذكر لي بعض الاصدقآء انهُ رأى غراباً عند احد معارفهِ تكلم امامهُ باللغة الفرنسوية فقال Bonjour Monsieur ثم قال Vive Abbas II . فكيف ذلك وهل في قدرة الغراب ان يتكلم

يوسف جرجس

الجواب ـ جآء في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني ان صنفاً من

الغراب يقال لهُ الزاغ في طبيعتهِ القدرة على محاكاة لفظ الانسان وقد روى عنهُ حكايةً غريبة لا تخلو من خرافة وانهُ انشد ابياتاً من الشعر منها

انا الزاغُ ابو عجوه انا ابن الليث واللبوه
احبُّ الراح والريحا ن والقهوة والنشوه

وهي عدة ابيات تجدونها مع القصة في مجلد السنة الثانية من الضياء صفحة ٣٦٤ وما يليها تحت عنوان « فونغراف الاب لويس »

وذكر علمآء الحيوان من المتأخرين ان جميع اصناف الغربان فيها خاصية تقليد الكلام مثل الببغآء لم يخصُّوا منها صنفاً بعينهِ وقد جآء في الموضع المذكور من الضيآء عدة حكايات من هذا القبيل في مراجعتها غنًى عن الاطالة بها في هذا الموضع . بل جآء في رواية للمسيو بُوري دُسّان ڤنسان من اعضآء الندوة العلمية بفرنسا عن مذكرة للمسيو دُوپُون دُنُمُور تُليت في المعهد العلمي سنة ١٨٠٦ ذكر فيها انهُ قضى سنتين في جوار طائفة من الغربان فثبت لهُ ان لها لغةً تتفاهم بها وانهُ بعد هذه المدة صار يفهم لغتها وتعلم الفاظها . وذكر الراوي ان المشار اليهِ الَّف معجماً لهذه الالفاظ وطبع شذوراً منهُ يمكن بواسطتها ان يُترجَم كثيرٌ من كلماتها . اه

قلنا وقد ذكَّرتنا هذه الرواية ما نشرناهُ مرةً في الضيآء (السنة الثالثة صفحة ٦٨٥) من ان بعض الاميركان اكتشف ان للقرود الفاظاً تتخاطب بها فماد لذلك مكتتب مجلة المشرق في بيروت وقام صاحبها ينادي ان صاحب الضيآء او معرّب تلك القطعة يذهب الى ان الانسان متولد من القرد ولعلهُ هذه المرة يتهمنا باننا نذهب الى ان الانسان متولد من الغراب . . . . .

فكاهات

اهوال النمر (١)

بينما كان بعض الضباط الانكليز عائدين من معسكرهم في الهند الى انكلترة تقلّهم الباخرة بريطانيا وقد اخذ منهم السأم لطول الطريق اتفقوا على ان يقصّ كل منهم اشد نائبةٍ اصابتهُ في خلال اغترابهِ . فانشأ احدهم واسمهُ نافيل يخبرهم بالقصة الآتية وكان مشهوراً بصيد النمر قال

كنا قد خيّمنا جنوبي كلكتا في مكان يبعد عنها زهآء خمسة ايام وكنت اخرج غالباً واوغل في الغابات الكثيفة سعياً ورآء الانمار . فبينما انا ذات يوم اقطع مسلكاً وعراً استوقف خطواتي مشهدٌ لطيف مؤثر فاني رأيت اربعة انمار قد اجتمعت هي ذكر وانثى وولداهما وقد توسدن جميعاً عقيق نهرٍ جافّ وكان الاب نائماً الى جانب والام ساهرة على ولديها وهما يمرحان ويتمرغان في التراب ثم يثبان وثبات النشاط والسرور . فجعلت ارمقهنّ من حيث لا أُرى وعلم الله ان نظري لم يقع على اجمل من تلك النمرة في كل ما تيسر لي رؤيتهُ من النمورة فثار فيَّ الميل الى صيدها وكدت اهجم عليها لولا انني شعرت بضعفي وعجزي عن مقابلتها هي وذكرها فعدت ادراجي وفي نيتي ان ارجع حالاً فاقضي امنيتي

وما كان الا ريثما اعددت حملةً حتى عدت الى تلك الغابة واتفقت

---

(١) بقلم عساف افندي جرجس الكفوري من اساتذة الكلية الشرقية بزحلة

مع رجالي وكانوا عشرين على ان يصطادوا هم الذكر واقوم انا بصيد الانثى. ولكننا لما بلغنا المكان وجدنا النمر متغيباً ولم يكن هناك الا النمرة وولداها فقصدتها فما كادت تبصرني حتى هجمت عليَّ فاستقبلتها بطلقٍ ناري ولكن الرصاص صادف غصناً فدخل فيهِ واخطأها . فارسلت من بندقيتي رصاصةً اخرى فاخترقتها ورأيت بعيني دمها المتدفق وسمعت باذني زئيرها المخيف . ثم انثنت عني حتى توارت فصحت برفاقي وكانوا لا يزالون على مسافةٍ مني وعدَونا جميعاً نتبعها على آثار دمها في عقيق النهر حتى بلغنا محلاً اعترضتنا فيهِ الصخور والاشجار فمنعتنا من التقدم. فتسلق احد رجالي شجرة وما كاد يبلغ اعلاها حتى نادى باعلى صوتهِ ها هي يا سيدي ها هي قريبة من هنا وهي مصروعة على الارض . فصحت بهِ ويحك أحيةٌ هي ام ميتة قال بل ميتة ...

وهنا كان يجب عليَّ ان اتذكر مثلاً هندياً قديماً يقال فيهِ « ان النمر لا يموت اصلاً » ولكن لسوء حظي لم يخطر لي هذا المثل فحاولت التسلق على تلك الصخور وبعد جهدٍ كثير تمكنت من البلوغ الى موضع النمرة واذا هي لا تزال حية وقد هاجت من جرَّاء الجرح اشد الهياج واتقدت عيناها غضباً وازبد فوها. فصوبت بندقيتي الى قلبها واطلقت النار ولكنني كنت قريباً فخرج الرصاص منها دون ان يؤثر فيها شيئاً . فاستوت حينئذٍ قائمة وهمَّت ان تثب عليَّ وقد فغرت فاها فانشبتُ بندقيتي بين فكيها لانهُ لم يكن لي وقت كافٍ لان احشوها . ولكنها اجتذبتها مني بسرعة وتركتني أعزَل فكان جلُّ ما اقدر عليهِ وقاية رأسي بذراعيَّ

ثم انها احتملتني ورفعتني وضربت بي الارض ثم جعلت تارةً تمرغ عليَّ ضاغطةً على جسمي بجسمها الهائل وطوراً تعركني بمخالبها الحادة حتى خُيل لي انها حطمت عظامي تحطيماً ومزقت لحمي تمزيقاً وقد تقطعت احشآئي من الرعب وتمثل لي الموت بابشع صوَرهِ واعتراني اغمآء افقدني رشدي ولم اعد اعي مما حولي شيئاً

وبعد مدة افقتُ على صوت طلق ناري فرأيت رفاقي قد احدقوا بالنمرة وهي ميتة هذه المرة حقيقةً . فاستطلعتهم الامر فقالوا ان واحداً منهم رآني من اعلى شجرة فاخبر البقية بما نالني فبادروا جميعاً الى انقاذي ورفع احدهم حجراً كبيراً ورمى بهِ النمرة فشجَّ رأسها . وحينئذٍ لم يعد لها بدٌّ من مغادرتي فتركتني بين حيّ وميت واخذت تجهد في دفع ما تهددها من الخطر الجديد فاعملوا فيها الرصاص حتى سقطت ميتة . وقد استغربوا وجود رمقٍ فيَّ بعد ان كانوا يحسبون اني هلكت لا محالة فحمدوا الله على نجاتي من الموت بعد ان دخلت في لهواتهِ . ثم انهم قطعوا غصناً كبيراً وعرّوهُ من ورقهِ وشدوا اليهِ اطراف مناطقهم ووضعوني فوقها واخذ اثنان منهم بطرفي الغصن وساروا بي وانا لا اكاد اتنفس الا بالجهد

وكان الدم يسيل من جراحي دون انقطاع فاشفقت من ان تفرغ عروقي من الدم فألقى حتفي وليس لي من ذريعة امنع بها سيلان الدم المستمر ونحن بعيدون عمَّن يقدر ان يداويني اكثر من خمسين ميلاً . فحرت في امري وجعلت لا افكر الا في امساك دمي عن النزف واذ ذاك خطر لي فكر يدل ولا ريب على شجاعة فاستوقفت رجالي وامرتهم ان

يحموا لي قطعة من الحديد الى درجـة الاحمرار واكتويت بها في المحلات التي كان الدم يسيل منها فانقطع جريانهُ للحال

ووصلنا بعد يومين الى محلتنا وانا اعجب من بقآئي حياً بعد ما نالني من الاهوال والاوجاع . وكانت النمرة قد كسرت احدى ذراعيَّ بمخالبها وورمت ورماً عظيماً فاستشرت الطبيب في ذلك فجزم بقطعها فعارضت بشدة مؤثراً ان اموت على ان اعيش اجذم . على انني لم امت والحمد لله وهاتان كلتا ذراعيَّ سليمتان ولكنني قاسيت من الاوجاع ما يفوق كل تصوّر

تلك كانت آخر معركة بيني وبين النمورة على ان ما صادفتهُ من الاهوال في هذا العراك لم يكن الا ليزيدني ميلاً الى الاصطياد ولكنني انما وقفت عند هذا الحد من الصيد لانني رأيت ان لا بد لكل اولٍ من آخر وان حادثاً كهذا حقيق ان يكون خاتمة اعمال صيادٍ مثلي

قال واني ارى ان قصتي قد وقعت منكم موقع اعجاب واستغراب ولكن كم يكون استغرابكم لو سمعتم الحادث الذي وقع للسير ارتور واوشك ان يلقى فيهِ منيتهُ

فتحولت النواظر الى السير ارتور لانهُ كان مشهوراً بحوادثهِ العجيبة وسألوهُ ان يقص عليهم حكايتهُ فقال ذلك حادث مرّ عليهِ زمن طويل فاذا رأيتم اعفآئي من سرد هذا التذكار المؤلم فعلتم وصيرتموني من الشاكرين . ولكن هذا لم يكُ الا باعثاً على شدة رغبتهم في استماع قصتهِ فالحوا عليهِ في ذلك فتنهد وقال

هذا الحادث جرى سنة ١٨٥٦ في احدى ولايات برمانيا وكان احد

الزعمآء الوطنيين قد اغار بقومهِ على هذه الولاية لينتزعها من ايدي الانكليز وكان شديد العداوة لنا وقد لقينا من اهوال حربهِ ما لم نلقهُ من كل من قاتلناهم هناك الى ذلك الحين

واتفق انني خرجت ذات يومٍ لارتياد بعض البقاع و بصحبتي نفر من جنودنا فدهمنا الليل ونحن بعيدون عن معسكرنا فاوقدنا ناراً وجلسنا نستريح ونصطلي وغلب علينا النعاس فنمنا

ولما كنا بعد نصف الليل بساعتين شعرت انني ارتفع عن الارض ٠ وقبل ان اتحقق أفي حلم انا ام في يقظة وجدت يديَّ مكتوفتين ثم رأيتني مسوقاً الى معسكر العدو وقد تفرق عني اصحابي فلم ارَ منهم احداً ٠ وبعد حين أُقمت بين يدي زعيمهم فما وقع نظرهُ عليَّ حتى صاح بغلظةٍ ويلٌ لكم ايها البغاة الآتون لاحتلال بلادنا واسترقاق اعناقنا ٠ وها انني قد امسكت احدكم الآن فلتذوقنَّ شرَّ ما جنت ايدي جماعتك وستكفِّر عن كل ما ساموناً من الجور والتعدي بما سأوقعهُ بك من النكال والعذاب ٠ قال هذا واشار الى رجالهِ فشدوا على عينيَّ عصابة وساقوني وهم يوسعوني ضرباً أليماً وانا لا اعلم شيئاً سوى انني اسير الى عدمي على قدمي ٠ وبعد ان قطعنا على هذه الحال مسافة قال احدهم على رسلكم يا هؤلآء فوقفوا ففهمت اننا وصلنا الى المكان الذي يقصدونهُ ٠ ثم حلوا العصابة عن عينيَّ فوجدتني في غابة مخيفة بين اشجارٍ باسقة واعشابٍ كثيفة ٠ والتفتُّ فرأيت بيتاً خشبياً فلم ادرك باديء ذي بدء مقصد اولئك الرجال بي واي علاقة تكون بيني وبين ذلك البيت ٠ ولكن بعد قليل علمت انهُ فخٌ قد نصب لصيد الانمار

وهو مصنوع من اخشاب قد شُدَّ بعضها الى بعض متفرقة وجُعل في بابهِ خشبة اذا داسها النمر عند دخولهِ اوصدت الباب وراءهُ بسدٍ معدّ لهذا الشأن وبقي هو داخلاً . والفخ يقسم الى قسمين ينفصلان بحاجز من اخشاب متفرقة وأحدهما مخصص للُّحمة (الطعم) ولا يتسع الا بمقدار ما يسع رجلاً وكنت انا ذلك الرجل ... فجرّدوني من ثيابي ووضعوني هناك وذهبوا تاركين اياي عرضةً للمخاوف والافكار فبقيت اضرب اخماساً لاسداس حتى ايقنت انني سألقى حتفي في ذلك المكان الضيق الذي صُنع بقدر جسمي

وايُّ املٍ لي في الخلاص وانا بعيدٌ عن اصحابي وهم لا يعلمون إلامَ آل امري وهب انهم علموا ذلك فمن يهديهم الى مكاني . أجل ان فتاة ابصرتني وانا مسوق الى هذا المكان بعين ملؤها الرأفة والحنان فقدمت لي ماء لاشرب غير مشفقة على حياتها من الرجال الذين معي . واتذكر ايضاً انني همست اليها ان تعلم قائدنا بما انا فيهِ من الشدة والخطر فيرسل من ينقذني . ولكن من يضمن لي انها حفظت كلماتي وقامت بما عهدت فيهِ اليها

واني لفي هذه الافكار اذ شعرت بخطوٍ خفيف فحبست نفَسي لاتحقق ما يكون واذا بنمرٍ هائل قد دخل ثم أُوصد باب الفخ وراءهُ واصبحت واياهُ في هذا السجن الضيق لا يفصل احدنا عن الآخر الا الفاصل الخشبي . ومن يصف لكم حالي من الرعب والهلع عندما فتح ذلك الوحش فاهُ فاطلق نفَسهُ الكريه على جسمي المعرّى واخذ يكشر ويزمجر ويهجم على الحاجز مريداً ان يحطمهُ باسنانهِ ومخالبهِ ليصل اليَّ ويمزقني

تمزيقاً . وانهُ يتمثل لي الآن برأسهِ الهائل وعينيهِ المتقدتين فترتعد فرائصي

واخيراً تأكدت انني فريسة هذا النمر لا محالة وصرت اشتهي ان يجهز عليَّ فاخلص من هذا العذاب . لكن اعدآئي كانوا من ادهى مخترعي آلات النكال في صنعهم هذه الالة التي يذوق المرء فيها الاهوال صنوفاً ويموت الف مرة موت الرعب قبل ان يحطم النمر الحاجز ويذيقهُ الموت الشنيع .

على ان عظم الخطر ولَّد فيَّ قوةً غريبة ولست ادري أجنونٌ اعتراني ام هي غريزة حب البقآء تمحو عن لوح التعقل كل فكر . فكنت اجاهد ما استطعت الى الجهاد سبيلاً حتى تمكنت من قطع وُثُقي ولكن ذلك لم يجدِني نفعاً ولم يبعدني عن الموت الزؤام قدر شبرٍ لانني انا ايضاً مثل النمر واقع في الفخ لا قِبَل لي بالدفاع ولا سبيل لي الى الفرار . الا انني التصقت باخشاب الفخ الخارجية لابتعد ولو قليلاً عن النمر لانهُ كان يمد يديهِ من بين اخشاب الفاصل فيمزّق باظفارهِ جلدي واذ ذاك يزداد غضبهُ وهيجانهُ احتداماً لشعورهِ برائحة الدم السائل من جراحي

وإنّا لكذلك النمر في اشد حالات الهياج وقد صار على وشك تحطيم الحاجز وانا في اشد الاضطرابات النفسانيـة ارى الموت يدنو مني لحظةً فلحظة اذ سمعت اصواتاً مختلطة . . ثم شعرت باقترابها مني . . ثم سمعت مَن لفظ باسمي . . ثم سمعت من يناديني . . وا أسفاه وأنّى اجيب وقد خنق الرعب صوتي . . .

ولم يمضِ الا هنيهةٌ حتى ظهر لي عشرون من جنودنا فسكن عنـد .

رؤيتهم بعض روعي وتجدد املي في النجاة . بيدَ أنهُ كان دون انقاذي عقبة صعبة لان اصحابي لا يتجرأون ان يطلقوا النار على النمر خشية ان يسمع زعيم القوم وكان قريباً من هناك فتكون العاقبة وخيمة اذ تنقضّ علينا جماعتهُ ويذهب ذلك العدد النزر من جنودنا فريسة انمار من نوعهم . فلم يبقَ لهم والحالة هذه الا ان يصرعوا النمر بضرب النصال فأخذوا يتعاورونهُ بحرابهم

قال وهنا يقصر لساني عن ان امثل لكم الاهوال والمخاوف التي قاسيتها قبل ان يتمكنوا من قتلهِ فان وخز الحراب قد اطار رشدهُ فكان يثب الوثبات الهائلة فيخيَّل لي ان الارض تخسف بنا واقول في نفسي ها هو قد حطم الاخشاب وادركني . ولبث الامر على ذلك الى ان تكاثرت على النمر ضربات الحراب فضعف زئيرهُ ووهنت قواهُ وما لبث ان سقط صريعاً فشكرت ورفاقي الله على خلاصي بعد ان ابصرت الموت بعيني مراراً عديدة . ولما اخرجوني سألتهم كيف علموا بما اصابني وبمكاني فقالوا انهم علموا ذلك من الفتاة التي سقتني الماء حين كنت أُساق الى ذلك الموضع

ولم يصل السير ارثور الى هذا الحد من حديثهِ حتى بلغ منهُ الجهد والاعياء مبلغاً عظيماً لما مرّ في مخيلتهِ من التذكارات المخيفة المؤلمة في خلال كلامهِ . ثم قال اني لا اتعجب من اختراع الزعيم لذلك الفخ ولا من حنوّ منقذتي الصغيرة ولا من مبادرة رفاقي الى اختطافي من انياب النمر بل اتعجب من شيء واحد وهو انني خرجت من ذلك الموضع وانا غير فاقد العقل